Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منها متعاقبة . وما ذوقنا اليوم إلا خلاصة لمؤثرات شتى خضع لها أجدادنا ، وأضاف إليها كل جيل منهم ما استحدث ، دون أن يفلت من ميراث له ، أخذه تلقائياً أو بالتلقين ، من آباء له وأجداد .

وقد يبدو لمن يتعجلون النظر ويرتجلون الحكم ، أن ذوقنا العصرى بعيد كل البعد عن ذوق جيل مضى ؛ لكن النظرة المتأنية الفاحصة ، لا تلبث أن تهتدى إلى ما وراء الظاهر ، من عنصر موروث فى ذوقنا ، يصله بأقدم ما كان لأسلافنا من خواص ذوقية . وهذه قضية فرغ العلم من إثباتها بحيث لا أجد ضرورة إلى الإطالة فى التماس الأدلة والشواهد عليها ، والحياة أمامنا تقدم لنا فى كل وقت وفى كل بيئة ، نماذج من الناس ، يعيشون فى ظروف واحدة ، ويخضعون لمؤثرات عصرية متماثلة ، ثم يختلف قوم عن قوم ، أثراً لاختلاف ميراث احتكم فى وجدان كل جماعة ، وترك أثره الواضح فى الشخصية القومية والمزاج العام .

هى إذن رجعة لابد منها إلى أدبنا الأول ، وعودة لا مفر منها إلى قديمنا الأصيل ، نرد بها على أدبنا ما سلبته إياه عصور الانحطاط والضعف ، ونلتمس لمزاجنا الأدبى الحاضر ميراثه النقى ، ونهتدى به إلى الشوائب الدخيلة التى جمّدت ذوقنا الفنى لأدبنا ، وأصابت مناهج الدرس الأدبى بما يشبه العقم .

* * *

ونقطة البدء يجب أن ترجع إلى العصر الجاهلى ، أو بتحديد أدق ، إلى القرنين الأخيرين للجاهلية ، وهى الفترة التى استبقى الزمن بعض تراثها الأدبى . ولن نطيل الوقوف هنا عند مسألة الشك فى هذا الذى استنقذ من شعرنا القديم ، فمهما يكن الرواة قد غيروا منه أو أضافوا إليه لسبب أو لآخر ، يبقى فى جملته غير متهم بالزيف أو الوضع . والقدر الذى حُمِل عليه زوراً وأضيف إليه انتحالاً ، كان من مهارة التقليد بحيث فات خبراء الشعر الأقدمين — من أمثال خلف الأحمر ، وأبى عبيدة ، والأصمعى والمفضل الضبى وابن سلام وأبى عمرو بن العلاء وأبى زيد القرشى ، ثم ابن المعتز وأبى تمام وابن دريد والسكرى — أن يميزوه ، فاكتسب بهذه المهارة فى التقليد صفة التمثيل للشعر الجاهلى ، كما اعتمده أقرب الناس عهداً به .